[263] فقال: وأنتم فما الذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا ؟ فقالوا: لانا قد وجدنا العالم صنفين: خيرا وشرا، ووجدنا الخير ضدا للشر، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشئ وضده. (1) بل لكل واحد منهما فاعل، ألا ترى أن الثلج محال أن يسخن كما أن النار محال أن تبرد، فأثبتنا لذلك صانعين قديمين: ظلمة ونورا، فقال لهم رسول ا صلى ا عليه وآله: أفلستم قد وجدتم سوادا وبياضا وحمرة وصفرة وخضرة وزرقة ؟ وكل واحد ضد لسائرها لاستحالة اجتماع اثنين منها في محل واحد، كما كان الحر والبرد ضدين لاستحالة اجتماعهما في محل واحد ؟ قالوا: نعم، قال: فهلا أثبتتم بعدد كل لون صانعا قديما ليكون فاعل كل ضد من هذه الالوان غير فاعل الضد الآخر ؟ ! قال: فسكتوا. ثم قال: وكيف اختلط هذا النور والظلمة وهذا من طبعه الصعود وهذا من طبعه النزول ؟ أرأيتم لو أن رجلا أخذ شرقا يمشي إليه والآخر غربا يمشي إليه أكان يجوز أن يلتقيا مادام سائرين على وجوههما ؟ قالوا: لا، فقال: وجب أن لا يختلط النور والظلمة، لذهاب كل واحد منهما في غير جهة الآخر، فكيف حدث هذا العالم من امتزاج ما محال أن يمتزج ؟ بل هما مدبران جميعا مخلوقان، فقالوا: سننظر في امورنا. ثم أقبل على مشركي العرب وقال: وأنتم فلم عبدتم الاصنام من دون ا ؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى ا تعالى، فقال: أو هي سامعة مطيعة لربها، عابدة له، حتى تتقربوا بتعظيمها إلى ا ؟ فقالوا: لا، قال: فأنتم الذين نحتتموها (2) بأيديكم فلان تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أحرى من أن تعبدوها إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيما يكلفكم، قال: فلما قال رسول ا صلى ا عليه وآله هذا اختلفوا فقال بعضهم. إن ا قد حل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور فصورنا هده الصور (3) نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التي حل فيها ربنا.

_____ (1) في هامش المصدر: فانكرنا أن يكون فاعل الشئ وضده واحدا (خ ل). (2) هكذا في النسخ وفى المصدر: فانتم الذين تنحتونها. (3) في المصدر: كانوا على هذه الصور التى صورناها فصورنا هذه نعظمها.

_____